

# مقال مختصر حول (أزلية الله ربِّ العالمين)

كتبه: عبد الكريم الكثيري عفا الله عنه

١٤٤٤ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصــلاة والســلام على نبينا محمد وعلى اله وصــحبه أجمعين أما بعد فهذا جزء مفيد في مسألة عظيمة من مسائل أصول الدين وهي أزلية الله تعالى ودوامه

## أولا أزلية الله تعالى وبقاؤه وديمومته

١- قال الله تعالى {هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ۝٤} [سورة الحديد: ٣-٤]..

٢- قال أحمد في مسنده حَدَّثَنَا خَلَفُ بْنُ الْوَلِيدِ، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ عَيَّاشٍ، عَنْ سُهَيْلِ بْنِ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَدْعُو عِنْدَ النَّوْمِ: " اللهُمَّ رَبَّ السَّماوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، مُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ، فَالِقَ الْحَبِّ وَالنَّوَى، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْءٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهِ، **أَنْتَ الْأَوَّلُ لَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ لَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ**، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ لَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ لَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ، اقْضِ عني الدين وأغنني من الفقر.

فأولية الله تعالى بلا ابتداء ولا متى فهو قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء بغير نهاية. وإنما قيل ذلك كذلك، لأنه كان ولا شيء موجود سواه، وهو كائن بعد فناء الأشياء كلها، كما قال جلّ ثناؤه: { كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ } [سُورَةُ القَصَصِ :٨٨]..

وفي القران اي كثيرة جاءت بصيغة وكان الله عليما حكيما وسميعا بصيرا ونحوه:

**[١]** قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَكَانَ ٱللَّهُ } [سُورَةُ النَّبَإِ :١٧]. **فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ، وَهُوَ كَذَلِكَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ قَدِيرٌ، لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ**، فَمَا اخْتُلِفَ عَلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ فَهُوَ شِبْهُ مَا ذَكَرْتُ لَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يُنْزِلْ شَيْئًا إِلَّا وَقَدْ أَصَابَ بِهِ الَّذِي أَرَادَ، وَلَكِنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ "[(١)].

**[٢]** حَدَّثَنَا سَلْمُ بْنُ جُنَادَةَ، قَالَ: ثنا أَبُو مُعَاوِيَةَ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ وَهُوَ ابْنُ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ، وَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: { وَكَانَ ٱللَّهُ } [النساء: ١٧]، **فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: كَذَلِكَ لَمْ يَزَلْ**[(٢)].

(١) «تفسير عبد الرزاق» (١/ ٤٥٩).

(٢) «التوحيد لابن خزيمة» (١/ ٢٣٨).

## 📖 قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ﴾

**[٣]** حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، ثنا أَبُو يَحْيَى الرَّازِيُّ، عَنْ عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ الْمِنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: وَكَانَ اللَّهُ كَأَنَّهُ شَيْءٌ كَانَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا قَوْلُهُ: **وَكَانَ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ، وَهُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ.**[١].

**[٤]** حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ الأَشَجُّ، ثنا أَبُو يَحْيَى الرَّازِيُّ، عَنْ عَمْرُو بْنُ أَبِي قَيْسٍ، عَنْ مُطَرِّفٍ، عَنْ الْمِنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ:يَا أَبَا عَبَّاسٍ: سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ: وَكَانَ اللَّهُ كَأَنَّهُ شَيْءٌ كَانَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَمَّا قَوْلُهُ: **وَكَانَ اللَّهُ فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلا يَزَالُ، وَهُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ، وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ.**.

**[٥]** حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي مُوسَى، ثنا هَارُونُ بْنُ حَاتِمٍ، ثنا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ أَبِي حَمَّادٍ، عَنْ أَسْبَاطٍ، عَنِ السُّدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ قَوْلَهُ: **وَكَانَ اللَّهُ فَهُوَ كَذَلِكَ**.

---

[١] «تفسير ابن أبي حاتم» (٣/ ٨٩٩).

**[٦]** وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٩٦]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٥٨]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ١٣٤]، **فَإِنَّ اللهَ** عَزَّوَجَلَّ **سَمَّى نَفْسَهُ ذَلِكَ، وَلَمْ يَنْحَلْهُ غَيْرَهُ، وَكَانَ اللهُ أَيْ لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ"**[١].

**[٧]** فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَمَّا قَوْلُهُ تَعالَى: "﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾ [سُورَةُ الأَحْزَابِ: ٢٧].، **فَإِنَّهُ لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ**[٢].

**[٨]** قال أبو عبد الله بن الضريس في فضائل القران أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَيُّوب، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عِيسَى، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: " قِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ: ٩٦]، كَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ مَضَى. قَالَ يَعْنِي: " **أَنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا، يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ** ".

---

(١) «المعجم الكبير للطبراني» (١٠/ ٢٤٦).

(٢) «المستدرك على الصحيحين للحاكم » (٢/ ٤٢٨).

٣- حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ ". قَالَ: قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا. قَالَ: "اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ ". قَالَ: قُلْنَا: قَدْ قَبِلْنَا، فَأَخْبِرْنَا عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ كَيْفَ كَانَ؟ قَالَ: "كَانَ اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ ذِكْرَ كُلِّ شَيْءٍ " قَالَ: وَأَتَانِي آتٍ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ انْحَلَّتْ نَاقَتُكَ مِنْ عِقَالِهَا. قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا السَّرَابُ يَنْقَطِعُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا. قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي أَثَرِهَا فَلَا أَدْرِي مَا كَانَ بَعْدِي..

٤- قال البخاري في صحيحه حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ حَفْصِ بْنِ غِيَاثٍ، حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا الأَعْمَشُ، **حَدَّثَنَا جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ**، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، أَنَّهُ حَدَّثَهُ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ؟ قَالَ: **كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السماوات وَالأَرْضَ** فَنَادَى مُنَادٍ: ذَهَبَتْ نَاقَتُكَ يَا ابْنَ الحُصَيْنِ، فَانْطَلَقْتُ، فَإِذَا هِيَ يَقْطَعُ دُونَهَا السَّرَابُ، فَوَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ تَرَكْتُهَا.

٥- حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو حَمْزَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: إِنِّي عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ جَاءَهُ قَوْمٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ، فَقَالَ: اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ، قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَدَخَلَ نَاسٌ مِنْ

أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: اقْبَلُوا البُشْــرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ، قَالُوا: قَبِلْنَا، جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْـــأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ، قَالَ: **كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَـــيْءٌ قَبْلَهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السماوات وَالأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ،** ثُمَّ أَتَانِي رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ أَدْرِكْ نَاقَتَكَ فَقَدْ ذَهَبَتْ، فَانْطَلَقْتُ أَطْلُبُهَا، فَإِذَا السَّـــرَابُ يَنْقَطِعُ دُونَهَا، وَايْمُ اللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّهَا قَدْ ذَهَبَتْ وَلَمْ أَقُمْ.

٦- وقال النسائي في الكبرى أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى، حَدَّثَنَا خَالِدُ يَعْنِي ابْنَ الْحَارِثِ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، قَالَ: أَنْبَأَنِي جَامِعُ بْنُ شَـدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنِ ابْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **كَانَ اللهُ وَلَا شَيْءَ غَيْرُهُ،** وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، فَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثُمَّ خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ.

وهذا الحديث مدار اسناده على جامع بن شداد فمنه يتفرع الرواة

**فالروايات التي في الصحيح هي قوله** عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ **كان الله ولم يكن شيء غيره**

**والرواية الثانية –كان الله ولم يكن شـــيء قبله وهذه** قريبة مما رواه أحمد في المســـند قال حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الْأَعْمَشُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَـــدَّادٍ، عَنْ صَـــفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: " اقْبَلُوا الْبُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ ". قَالَ: قَالُوا: قَدْ بَشَّـرْتَنَا فَأَعْطِنَا. قَالَ: "اقْبَلُوا الْبُشْـرَى يَا أَهْلَ الْيَمَنِ ". قَالَ: قُلْنَا: قَدْ قَبِلْنَا، فَأَخْبِرْنَا عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ كَيْفَ كَانَ؟ قَالَ: **"كَانَ اللهُ قَبْلَ كُلِّ شَـــيْءٍ،** وَكَانَ عَرْشُـــهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي اللَّوْحِ ذِكْرَ كُلِّ شَـــيْءٍ " قَالَ: وَأَتَانِي آتٍ فَقَالَ: يَا عِمْرَانُ انْحَلَّتْ نَاقَتُكَ مِنْ عِقَالِهَا.

قَالَ: فَخَرَجْتُ فَإِذَا السَّـــرَابُ يَنْقَطِعُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا. قَالَ: فَخَرَجْتُ فِي أَثَرِهَا فَلَا أَدْرِي مَا كَانَ بَعْدِي.

وعموم الروايات مفسرة لإحدى هذه الروايتين

٧- وروى الفريابي في القدر قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، حَدَّثَنَا يحي بن حماد، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنْ سُلَيْمَانَ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَـيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَهُ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمِنِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ؛ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَنَسْـــأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الْأَمْرِ كَيْفَ كَانَ؟ فَقَالَ: "**كَانَ اللَّهُ** عَزَّوَجَلَّ **لَا شَرِيكَ لَهُ**، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ كَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ".

**فالظاهر -والله أعلم -أنه مع اتحاد المجلس والقصـة أن الرواية للحديث حصـلت بالمعنى فالروايات يفسر بعضها بعضا.**

## تنبيه :

- **أولا: ما يذكر من رواية كان الله ولم يكن شـيء معه لا توجد في كتب السـنة والله أعلم.**
- **ثانيا: وهناك زيادة وهو الان على ما عليه كان زيادة موضـــوعة من وضـــع زنادقة الجهمية.**

**وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ وَهُوَ قَوْلُهُ: { وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ } كَذِبٌ مُفْتَرًى عَلَى رَسُـولِ اللَّهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **اتَّفَقَ أَهْلُ الْعِلْمِ بِالْحَدِيثِ عَلَى أَنَّهُ مَوْضُوعٌ مُخْتَلَقٌ وَلَيْسَ هُوَ فِي شَيْءٍ مِنْ دَوَاوِينِ الْحَدِيثِ لَا كِبَارِهَا وَلَا صِغَارِهَا وَلَا رَوَاهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِإِسْنَادِ لَا صَحِيحٍ وَلَا ضَـعِيفٍ وَلَا بِإِسْـنَادِ مَجْهُولٍ** وَإِنَّمَا تَكَلَّمَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ: بَعْضُ مُتَأَخِّرِي مُتَكَلِّمَةِ الْجَهْمِيَّة فَتَلَقَّاهَا مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَـــلُوا إلَى آخِرِ التَّجَهُّمِ - وَهُوَ التَّعْطِيلُ وَالْإِلْحَادُ -. وَلَكِنَّ أُولَئِكَ قَدْ

يَقُولُونَ: كَانَ اللَّهُ وَلَا مَكَانٌ وَلَا زَمَانٌ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ فَقَالَ هَؤُلَاءِ: كَانَ اللَّهُ وَلَا شَــــيْءَ مَعَهُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ وَقَدْ اعْتَرَفَ بِأَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْلَمُ هَؤُلَاءِ بِالْإِسْــــلَامِ ابْنُ عَرَبِيٍّ فَقَالَ فِي كِتَابٍ: (مَا لَا بُدَّ لِلْمُرِيدِ مِنْهُ) وَكَذَلِكَ جَاءَ فِي السُّــنَّةِ { كَانَ اللَّهُ وَلَا شَــيْءَ مَعَهُ } قَالَ: " وَزَادَ الْعُلَمَاءُ وَهُوَ الْآنَ عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ فَلَمْ يَرْجِعْ إلَيْهِ."[1].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢/ ٢٧٢)

# المسائل العقدية المتعلقة بالحديث

## أولا قول أهل اليمن جِئْنَاكَ لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَلِنَسْأَلَكَ عَنْ أَوَّلِ هَذَا الأَمْرِ مَا كَانَ

فأهل اليمن سألوا عن ابتداء خلق هذا العالم المشهود الذي خلق في ستة أيام وكان عرش الله على الماء قبل ذلك وقدر الله مقاديره قبل أن يخلقه بخمسين ألف سنة.

١- قال البخاري في صحيحه حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ كَثِيرٍ، أَخْبَرَنَا سُفْيَانُ، عَنْ جَامِعِ بْنِ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: جَاءَ نَفَرٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا بَنِي تَمِيمٍ أَبْشِرُوا» قَالُوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ، فَجَاءَهُ أَهْلُ اليَمَنِ، فَقَالَ: «يَا أَهْلَ اليَمَنِ، اقْبَلُوا البُشْرَى إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَبِلْنَا، **فَأَخَذَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **يُحَدِّثُ بَدْءَ الخَلْقِ وَالعَرْشِ**....الحديث.

٢- قال ابن خزيمة في كتاب التوحيد حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَعْمَرِ بْنِ رِبْعِيٍّ، وَأَبُو غَسَّانَ مَالِكُ بْنُ سَعْدٍ الْقَيْسِيَّانِ قَالَا: ثَنَا رَوْحٌ، قَالَ: ثَنَا الْمَسْعُودِيُّ، قَالَ: ثَنَا أَبُو صَخْرَةَ جَامِعُ بْنُ شَدَّادٍ، عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: دَخَلَ قَوْمٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلُوا يَسْأَلُونَهُ وَيَقُولُونَ: أَعْطِنَا حَتَّى سَاءَهُ ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ، فَقَالُوا: جِئْنَا لِنُسَلِّمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **وَنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَنَسْأَلَ عَنْ بَدْءِ هَذَا الْأَمْرِ**..الحديث.

ففيه الرد على من قال بقدم العالم وأنه لا بداية له وهم الفلاسفة

فالعالم مخلوق له بداية لأن الله تعالى قال الله خالق كل شيء فكل ما سوى مخلوق بعد أن لم يكن وهذا الذي دلت عليه الفطر وجميع دعوات الرسل عليهم الصلاة والسلام فلَا يَكُونُ

الْمَخْلُوقُ إِلَّا مَسْــبُوقًا بِالْعَدَمِ فَلَيْسَ شَــيْءٌ مِنَ الْمخلوقات مُقَارِنًا لِلَّهِ تَعَالَى فِي الوجود أو مساوق له سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ كَمَا يَقُولُهُ دَهْرِيَّةُ الْفَلَاسِفَةِ وزعيمهم أرسطو طاغوت الفلسفة المشائية وتبعه الفارابي وابن سينا وابن باجه وابن رشد الحفيد.

ومثله من يقوم بقدم المادة بأنها لا تســتحدث ولا تزول وهي حجة ارســطو على قدم العالم المشهود وهذا أيضا الحاد وكفر بالله وآياته ورسله.

**فمحصل كلام الفلاسفة حول خلق العالم**

- **هو أن العالم بعينه قديم مســاوق لله تعالى في الوجود مقارن له ســبحانه لا في الذات.**
- **العالم صـــادر عن الله لم يخلقه تعالى بعد أن لم يكن وهي نظرية الفيض عندهم....**
- **المادة قديمة أزلية**

وهذه المقالات خالفوا بها عقلاء بني ادم وعموم أهل الملل اذ كلهم معترف أن العالم كائن بعد أن لم يكن.

وما يذكرونه من أدلة انما هي اقيسة شيطانية لا تحقق مقصودا ولا تدل على شيء ذا بال

وغاية ما في بعض تلك الحجج أنه دال على قدم فعل الرب تعالى بأنه لا يزال فاعلا لا على أن ثمة شيء من العالم قديم بعينه فانتبه.

📖 وقال الله تعالى: {بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾} [سُورَةُ البَقَرَةِ: ١١٧]..

١- قال الطبري في تفسيره «ومعنى"المبدع": المنشئ والمحدث ما لم يسبقه إلى إنشاء مثله وإحداثه أحد».

٢- حدثنا المثنى قال، حدثنا إســـحاق قال، حدثنا ابن أبي جعفر، عن أبيه، عن الربيع: (بديع السماوات والأرض) ، يقول: ابتدع خلقها، ولم يشركه في خلقها أحد..

٣- ١٨٥٩- حدثني موسـى قال، حدثنا عمرو قال، حدثنا أسـباط، عن السـدي: (بديع السماوات والأرض) ، يقول: ابتدعها فخلقها، ولم يُخلق قبلها شيء فيتمثل به.[١].

قوله: (بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ )

٤- ١١٣٥ - حَدَّثَنَا عِصَـــامُ بْنُ رَوَّادٍ ثنا آدَمُ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عَنِ الرَّبِيعِ عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ- يَعْنِي قوله: بديع السماوات وَالأَرْضِ ابْتَدَعَ خَلْقَهَا، وَلَمْ يُشْرِكْهُ فِي خَلْقِهَا أَحَدٌ..

وَرُوِيَ عَنِ الرَّبِيعِ نَحْوُ ذَلِكَ.

٥- حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَّادِ بْنِ طَلْحَةَ ثنا أَسْـبَاطٌ عَنِ السُّـدِّيِّ:بديع السـماوات وَالأَرْضِ يقول: ابْتَدَعَهَا فَخَلَقَهَا، وَلَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهَا شَـيْئًا فَيَمْتَثِلُ عَلَيْهِ. وَرُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ نَحْوُ ذَلِكَ.....

٦- حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ، ثنا صَـــفْوَانُ بْنُ صَـــالِحٍ، ثنا الْوَلِيدُ، ثنا مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ بْنِ يُوسُفَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلامٍ أَنَّ مُوسَى- عَلَيْهِ السَّلَامُ- لَمَّا انْتَهَى إِلَى الْبَحْرِ قَالَ **يَا مَنْ كَانَ**

---

[١] «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٢١٤)

**قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ وَالْمُكَوِّنُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْكَائِنُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ اجْعَلْ لَنَا مَخْرَجًا فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ**....انتهى.

وقال الله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾} [سُورَةُ الأَعْرَافِ: ٥٤]..

فمن ذلك قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : {أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾} [سُورَةُ الأَنْبِيَاءِ :٣٠].

وقوله {قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾} [سُورَةُ فُصِّلَتْ :٩-١٢]..

وقول هؤلاء الفلاسفة الدهرية حالهم مثل حال من قال الله فيهم : {وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾} [سُورَةُ الجَاثِيَةِ: ٢٤]..

## ثانيا قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كان الله ولم يكن شيء غيره أو قبله

**فهذا فيه اثبات الازلية لله الواحد الأحد سبحانه وأنه كان ولم يزل ولا زال بصفاته العلى وأسمائه الحسنى فلم يزل حيا سميعا بصيرا عاليا كريما عظيما متكلما فاعلا اذا شاء سبحانه قبل خلق السماوات والأرض.**

وهي -أي الأزلية – مشتقة من كلام السلف **أنه لم يزل ولا زال**

وَله الأَزلِيَّةُ، مَصْنُوعٌ لَا مِنْ كلامِهِم، ولعَلَّهُم نظرُوا إِلى لفْظِ لم يَزَلْ.(١)

١. قال الامام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ من زعم أن أسماء الله عَزَّوَجَلَّ مخلوقة فقد كفر، **لم يزل الله قديرًا، عليمًا، عزيزًا، حكيمًا، سميعًا، بصيرًا**، لَسْنا نشك أن أسماء الله ليست بمخلوقة..انتهى.

٢. قال أبو عبد الله بن بطة في الابانة وَأَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْجَابِرِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرٍ أَحْمَدُ بْنُ هَارُونَ قَالَ: وَحَدَّثَنِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ حَنْبَلٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو

(١) «تاج العروس من جواهر القاموس» (٢٧/ ٤٤٢)

حَنْبَلِ بْنُ إِسْحَاقَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ.... " لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا يُعْبَدُ بِصِفَاتِهِ غَيْرِ مَحْدُودَةٍ وَلَا مَعْلُومَةٍ، إِلَّا بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ سَمِيعًا، عَلِيمًا، غَفُورًا، رَحِيمًا، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، عَلَّامَ الْغُيُوبِ، فَهَذِهِ صِفَاتُ اللَّهِ وَصَفَ بِهَا نَفْسَهُ، لَا تُدْفَعُ وَلَا تُرَدُّ....

٣. وقال الامام في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة فقالت الجهمية لما وصفنا الله بهذِه الصفات: إن زعمتم أن الله ونَوره والله وقدرته، والله وعظمته، فقد قلتم بقول النصارى حين زعموا أن الله لم يزل ونوره. ولم يزل وقدرته..

قلنا: لا نقول: إن الله لم يزل وقدرته. ولم يزل ونوره. ولكن نقول: لم يزل بقدرته ونوره، لا متى قدر ولا كيف قدر..

فقالوا: لا تكونوا موحدين أبدًا حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء.

فقلنا: نحن نقول: قد كان الله ولا شيء. ولكن إذا قلنا: إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نَصِف إلهًا واحدًا بجميع صفاته؟!.

وضربنا لهم في ذلك مثلًا فقلنا: أخبرونا عن هذِه النخلة أليس لها جذع وكرب وليف وسعف وخوص وجمار؟! واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها، فكذلك الله –وله المثل الأعلى– بجميع صفاته إله واحد، لا نقول: إنه قد كان في وقت من الأوقات ولا يقدر حتى خلق له قدرة، والذي ليس له قدرة هو عاجز، ولا نقول: قد كان في وقت من الأوقات ولا يعلم حتى خلق له علمًا فعلم، والذي لا يعلم هو جاهل، ولكن نقول: لم يزل الله عالمًا قادرًا، لا متى ولا كيف، وقد سمى الله رجلًا كافرًا اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ⑪} [سُورَةُ المُدَّثِّرِ :١١] وقد كان هذا الذي سماه الله وحيدًا له عينان وأذنان

ولسان وشفتان ويدان، ورجلان، وجوارح كثيرة، فقد سماه الله وحيدًا بجميع صفاته، فكذلك الله –وله المثل الأعلى– هو بجميع صفاته اله واحد.

٤. قال حرب في مسائله سمعتُ إسحاق يقول: ليس بين أهل العلم اختلاف أن القرآن كلام الله، وليس بمخلوق، وكيف يكون شيء من الرب عز ذكره مخلوقًا؟! ولو كان ما قالوا لكان يلزمهم أن يقولوا: علمه وقدرته ومشيئته مخلوقة. **فإن قالوا ذلك لزمهم أن يقولوا: كان الله تبارك اسمه ولا علم ولا قدرة ولا مشيئة. وهو الكفر المحض الواضح، لم يزل الله عالما متكلمًا، له المشيئة والقدرة في خلقه.**

٥. قال الدارمي في نقضه وَقَالَ: {لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ} [سُورَةُ الحَشۡرِ: ٢٤] ٢. ثُمَّ ذَكَرَ الْآلِهَةَ الَّتِي تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ بِأَسْمَائِهَا الْمُسْتَعَارَةِ الْمَخْلُوقَةِ٣. فَقَالَ {إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم} [سُورَةُ النَّجۡمِ:٢٣] ٤ وَكَذَلِكَ قَالَ هُودٌ لِقَوْمِهِ حِينَ قَالُوا: {قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٧٠] فَقَالَ لَهُمْ يَنْهَاهُمْ: {أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم} [سُورَةُ الأَعۡرَافِ: ٧١] ٧ يَعْنِي أَنَّ أَسْمَاءَ اللَّهِ تَعَالَى لَمْ تَزَلْ، كَمَا لَمْ يَزَلِ اللَّهُ، وَأَنَّهَا بِخِلَافِ هَذِهِ الْأَسْمَاءِ الْمَخْلُوقَةِ الَّتِي أَعَارُوهَا لِلْأَصْنَامِ٨ وَالْآلِهَةِ٩ الَّتِي عَبَدُوهَا مِنْ دُونِهِ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ١٠ أَسْمَاءُ اللَّهِ بِخِلَافِهَا، فَأَيُّ تَوْبِيخٍ١١ لِأَسْمَاءِ الْآلِهَةِ الْمَخْلُوقَةِ إِذْ كَانَت أسماءها وَأَسْمَاءُ اللَّهِ مَخْلُوقَةً مُسْتَعَارَةً عِنْدَكُمْ بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَكُلُّهَا مِنْ تَسْمِيَةِ الْعِبَادِ وَمِنْ تَسْمِيَةِ آبَائِهِمْ بِزَعْمِكُمْ؟.

٦. وقال أيضـــا **وَاللَّهُ** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **اسْمُهُ كَأَسْمَائِهِ سَــوَاءٌ، لَمْ يَزَلْ كَذَلِكَ وَلَا يَزَالُ، لَمْ** تحدث لَهُ صــفته، وَلَا اسْــمٌ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ قَبْلَ الْخَلْقِ٧. كَانَ خَالِقًا قَبْلَ الْمَخْلُوقِينَ، وَرَازِقًا قَبْلَ الْمَرْزُوقِينَ، وَعَالِمًا قبل المعلومين، وسميعًا قَبْلَ أَنْ يَسْـمَعَ أَصْـوَاتَ الْمَخْلُوقِينَ، وَبَصِــيرًا قَبْلَ أَنْ يَرَى أَعْيَانَهُمْ مَخْلُوقَةً.

٧. وفي كتاب الشـريعة للآجري:قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَـيْنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لَمْ يَزَلِ اللَّهُ عَالِمًا مُتَكَلِّمًا سَمِيعًا بَصِيرًا بِصِفَاتِهِ قَبْلَ خَلْقِ الْأَشْيَاءِ، مَنْ قَالَ غَيْرَ هَذَا كَفَرَ.

٨. قال بن بطة لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَزَلْ بِقَوْلِهِ وَعِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَسُــلْطَانِهِ وَجَمِيعِ صِــفَاتِهِ إِلَهًا وَاحِدًا، وَهَذِهِ صِــفَاتُهُ قَدِيمَةٌ بِقِدَمِهِ، أَزَلِيَّةٌ بِأَزَلِيَّتِهِ، دَائِمَةٌ بِدَوَامِهِ، بَاقِيَةٌ بِبَقَائِهِ، لَمْ يَخْلُ رَبُّنَا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ طَرْفَةَ عَيْنٍ[(١)].

وَلَيْسَــتْ صِــفَةُ بَقَائِهِ وَدَوَامِهِ كَبَقَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَدَوَامِهِمَا، وَذَلِكَ أَنَّ بَقَاءَهُ أَبَدِيٌّ أَزَلِيٌّ، وَبقاء الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَبَدِيٌّ غَيْرُ أَزَلِيٍّ، فَالْأَزَلِيُّ مَا لَمْ يَزَلْ وَالأَبَدِيُّ مَا لَا يَزَالُ، وَالْجَنَّةُ وَالنَّارُ كَائِنَتَانِ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُونَا قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْله: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ [سُورَةُ الحَدِيدِ: ٣] الأَوَّلُ الَّذِي لَا قبل لَهُ، وَالآخِرُ الَّذِي لَا بعد لَهُ، فَقيل وَبَعْدُ نِهَايَتَانِ، وَاللَّهُ تَعَالَى هُوَ الأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ شَــيْءٍ وَالآخِرُ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ[(٢)].

---

(١) «الإبانة الكبرى – ابن بطة» (٦/ ١٧٢)

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ١٤٠)

## ثالثا قوله عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، ثم خَلَقَ السماوات وَالأَرْضَ.

هذا فيه ذكر المخلوقات فمنها العرش والماء ثم خلق السماوات والأرض

١- قال الدارمي في نقضه فَهَذَا قَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ إِنَّ عَرْشَهُ كَانَ عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السماوات وَالْأَرْضَ.

وتصديقه ذلك في كتاب الله تعالى عند قوله تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾} [سُورَةُ هُودٍ: ٧]..

٢- قال عَبْدُ الرَّزَّاق في تفسيره عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ} [سُورَةُ هُودٍ: ٧] ، قَالَ: هَذَا بَدْءُ خَلْقِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ.

٣- وعَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ} [سُورَةُ هُودٍ: ٧] عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ الْمَاءُ؟ "، قَالَ: عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ.

٤- وقال الطبري في تفسيره **حَدَّثَنَا** بشر قال، **حَدَّثَنَا** يزيد قال، **حَدَّثَنَا** سعيد، عن قتادة: {وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ} [هود: ٧] ، **ينبئكم ربكم** تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ **كيف كان بدء خلقه قبل أن يخلق السماوات والأرض.**

٥- حدثني المثنى قال، **حَدَّثَنَا** إسحاق قال، **حَدَّثَنَا** إسماعيل بن عبد الكريم قال حدثني عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول: **إن العرش كان قبل أن يخلق الله السماوات والأرض،** ثم قبض من صَفاة الماء قبضة، ثم فتح القبضة فارتفع دخانًا، ثم قضاهُنّ سبع سماوات في يومين. ثم أخذ طينة من الماء فوضعها مكان البيت، ثم دحا الأرض منها، ثم خلق الأقوات في يومين والسموات في يومين وخلق الأرض في يومين، ثم فرغ من آخر الخلق يوم السابع.

٦- وقال ابن أبي حاتم **حَدَّثَنَا** أَبِي، ثنا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، ثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنِ الرَّبِيعِ، عَنْ أَنَسٍ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ قَالَ: عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ: فَلَمَّا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ قَسَّمَ ذَلِكَ الْمَاءَ قِسْمَيْنِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ عَرْشُهُ فَجَعَلَ نِصْفًا تَحْتَ الْعَرْشِ وَهُوَ الْبَحْرُ الْمَسْجُورُ.

# والعرش كان على الماء والماء كان على متن الريح قبل خلق السماوات والأرض.

١- قال الدارمي في نقضـــه..وَكَانَ الْعَرْشُ عَلَى الْمَاءِ قَبْلَ الْخَلْقِ، إِذْ لَا أَرْضَ وَلَا سَمَاءَ، وَلَا خَلْقَ غَيْرُ الْعَرْش. وَالْمَاءِ.....

٢- حَدَّثَنَا مُوسَـى بْنُ إِسْمَاعِيلَ١، ثَنَا أَبُو عَوَانَةَ٢، عَنْ أَبِي بِشْـرٍ٣، عَنْ مُجَاهِدٍ٤ قَالَ: "بَدْءُ الْخَلْقِ الْعَرْشُ وَالْمَاءُ"...انتهى.

٣- وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه العرش حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا عُقْبَةُ بْنُ خَالِدٍ١، حَدَّثَنَا مَيْمُونٌ أَبُو مُحَمَّدٍ السَّـكُونِيُّ٢، حَدَّثَنِي شَـيْخٌ، قَالَ: سَمِعْتُ سَـعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ قَـالَ: كُنْتُ عِنْدَ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ: {وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ} [سُورَةُ هُودٍ: ٧] عَلَى أَيِّ شَـيْءٍ كَانَ الْمَاءُ، قَالَ: مِمَّنْ أَنْتَ؟ قَالَ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، قَالَ: مِنْ أَيِّ الْعِرَاقِ؟ قَالَ: مِنْ أهل الكوفة قَالَ: أَمَا إِنِّي سَـــأُحَدِّثُكَ وَلَا أَجِدُ مِنْ ذَلِكَ بُدًّا، كَانَ الْمَاءُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ وَكَانَتِ الرِّيحُ عَلَى الْهَوَاءِ.

٤- حَدَّثَنَا الْمِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ١، أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْـهِرٍ عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ عَنِ أبن عباس و {وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ} [سُورَةُ هُودٍ: ٧] ثُمَّ رُفِعَ بُخَارُ الْمَاءِ ففتقت

منه السـماوات، ثُمَّ خُلِقَ النُّونُ فَدُحِيَتِ الْأَرْضُ عَلَى ظَهْرِ النُّونِ٥ فَتَحَرَّكَ فَمَادَتِ (٦)، فَأُثْبِتَتْ بِالْجِبَالِ، فَإِنَّ الْجِبَالَ لَتَفْخَرُ عَلَيْهَا.

٥- حَدَّثَنَا الْمِنْجَابُ بْنُ الْحَارِثِ، أَخْبَرَنَا أَبُو عَامِرٍ الْأَسَدِيُّ١، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُهَاجِرٍ٣، عَنْ مُجَاهِدٍ١ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: "كَانَ عَلَى عَرْشِهِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ شَيْئًا، ثُمَّ خَلَقَ الْقَلَمَ فَكَتَبَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ".

٦- حَدَّثَنَا أَبِي، وَعَمِّي أَبُو بَكْرٍ قَالَا: أَخْبَرَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ أَخْبَرَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ٢ عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ.

٧- عَنْ وَكِيعِ بْنِ عُدُسٍ وَهُشَيْمٌ يَقُولُ فِي غَيْرِ هَذَا الْحَدِيثِ نُسَمِّيهِ وَكِيعَ بْنَ عُدُسٍ عنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: "كَانَ فِي عَمَاءٍ مَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ وَمَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ".

٨- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَصْمَعِيَّ يَقُولُ: وَذَكَرَ هَذَا الْحَدِيثَ فَقَالَ: "الْعَمَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ السَّحَابُ الْأَبْيَضُ الْمَمْدُودُ، وَأَمَّا العمى المقصور فالبصر، فَلَيْسَ هُوَ مِنْ مَعْنَى هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ قَدِيرُ الْعَمَاءِ فِي مَبْلَغِهِ وَكَيْفَ كَانَ ".

٩- وَقَالَ أَبُو عبيد: فِي حَدِيث النَّبِي عَلَيْهِ السَّلَامُ حِين سَــأَلَهُ أَبُو رزين الْعقيلِيّ: أَيْنَ كَانَ رَبنَا قبل أَن يخلق السَّــمَاوَات وَالْأَرْض فَقَالَ: كَانَ فِيعماء تَحْتَهُ هَوَاء وفوقه هَوَاء. قَوْله: فِي عماء فِي كَلَام الْعَرَب السَّــحَاب الْأَبْيَض قَالَ الْأَصْــمَعِي وَغَيره: هُوَ مَمْدُود وَقَالَ الْحَارِث بن حلزة الْيَشْكُرِي: [الْخَفِيف].

وكأنَّ المَنُوْنَ تَرِدِىْ بِنَا أع ... صمٍ يَنجاب عَنْهُ العماءُ

وَإِنَّمَا تأولنا هَذَا الحَدِيث عل كَلَام الْعَرَب الْمَعْقُول عَنْهُمْ وَلَا نَدْرِي كَيفَ كَانَ ذَلِك العماء وَمَا مبلغه وَالله أعلم وَأما الْعَمى فِي الْبَصَــــر فَإِنَّهُ مَقْصُــــور وَلَيْسَ هُوَ من معنى هَذَا الحَدِيث فِي شَيْء...انتهى (١).

فقوله ما فوقه يحتمل أن ما نافية بمعنى ليس أي ليس فوقه هواء والله أعلم

ويشــعر بمدلول النفي ما رواه أبو الشــيخ في العظمة حَدَّثَنِي أَبِي رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَالْوَلِيدُ قَالَا: حَدَّثَنَا يُونُسُ، حَدَّثَنَا أَبُو دَاوُدَ، قَالَ: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْعَرْشَ؟ قَالَ: «كَانَ فِي عَمَاءٍ **مَا فَوْقَهُ هَوَاءٌ، وَلَا تَحْتَهُ هَوَاءٌ**، ثُمَّ خَلَقَ الْعَرْشَ عَلَى الْمَاءِ»

١٠- وفي جامع الترمذي:قَالَ أَحْمَدُ بْنُ مَنِيعٍ: قَالَ يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ: العَمَاءُ: أَيْ لَيْسَ مَعَهُ شَيْءٌ.

١١- وقال الفريابي في القدر **حَدَّثَنَا** عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، **حَدَّثَنَا** بقية بن الوليد، عن أَرْطَاةَ بْنِ الْمُنْذِرِ، قَالَ: سَمِعْتُ ضَــمْرَةَ بْنَ حَبِيبٍ، عَنْ جُبَيْرِ١ بْنِ نُفَيْرٍ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ:

(١) «غريب الحديث - أبو عبيد - ط الهندية» (٢/ ٧)

إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ كَانَ عَرْشُــهُ عَلَى الْمَاءِ، وَإِنَّهُ خَلَقَ الْقَلَمَ، وَكَتَبَ مَا هُوَ خَالِقٌ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ.

اذن ثمة مخلوقات قبل خلق السماوات والأرض ثبت ذكرها وهي الغمام أو السحاب وهو قبل خلق الماء و العرش والريح والقلم

١٢- حَدَّثَنَا ابْنُ وَكِيعٍ وَمُحَمَّدُ بْنُ هَارُونَ الْقَطَّانُ، قَالا: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَـــلَمَةَ، عَنْ يَعْلَى بْنِ عَطَاءٍ، [عَنْ وَكِيعِ بْنِ حُدُسٍ، عَنْ عَمِّهِ أَبِي رَزِينٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُـــولَ اللَّهِ، أَيْنَ كَانَ رَبُّنَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ خَلْقَهُ؟ قَالَ: كَانَ فِي عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هَوَاءٌ، **ثُمَّ خَلَقَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ**]..

# ثم خلق العرش والماء والريح

١- وقال عبد الرزاق في مصــنفه عَنْ مَعْمَرٍ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَـأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [سُورَةُ هُودٍ:٧] قُلْتُ: " عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ الْمَاءُ قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ شَيْءٌ؟ قَالَ: عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ "..

٢- قال ابن خزيمة في كتاب التوحيد حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُثْمَانَ بْنِ حَكِيمٍ الْأَوْدِيُّ، قَالَ: ثَنَا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ، يَعْنِي ابْنَ طَلْحَةَ الْقَنَّادَ، قَالَ: ثَنَا أَسْبَاطُ، وَهُوَ ابْنُ نَصْرٍ الْهَمْدَانِيُّ، عَنِ السُّـــدِّيِّ، عَنْ أَبِي مَالِكٍ، عَنْ أَبِي صَـــالِحٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، وَعَنْ مُرَّةَ

الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ نَاسٍ، مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ} [سُورَةُ البَقَرَةِ :٢٩] قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا غَيْرَ مَا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ، فَلَمَّا أَرَادَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ أَخْرَجَ مِنَ الْمَاءِ دُخَانًا فَارْتَفَعَ فَوْقَ الْمَاءِ فَسَمَا عَلَيْهِ فَسَمَّاهُ سَمَاءً......

٣- وروى ابن أبي حاتم في تفسيره حَدَّثَنَا أَبُو زُرْعَةَ ثنا عَمْرُو بْنُ حَمَّادٍ ثنا أَسْبَاطُ بْنُ نَصْرٍ عَنِ السُّدِّيِّ قَوْلُهُ: {هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾} [سُورَةُ البَقَرَةِ :٢٩]. قَالَ: إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَلَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا غَيْرَ مَا خَلَقَ قَبْلَ الْمَاءِ......

وخلق العرش سابق على خلق القلم ولا يناقض هذا حديث: "أول ما خلق الله القلم" فالمراد –والله أعلم– أول ما خلق الله من هذا العالم بعد خلق العرش، فإن العرش مخلوق قبله..

ويدل على سبق خلق العرش قوله في الحديث الثابت: "قدَّر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء"..

٤– وجاء في كتاب البداية والنهاية (١/ ١٣): وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ فِيمَا نَقَلَهُ الْحَافِظُ أَبُو الْعَلَاءِ الْهَمَذَانِيُّ وَغَيْرُهُ ; **أَنَّ الْعَرْشَ مَخْلُوقٌ قَبْلَ ذَلِكَ**..

٥– قال اللالكائي في شرح السنة أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدٍ، قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مَعْرُوفٍ، قَالَ: ثَنَا

ضَمْرَةُ، عَنْ صَدَقَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ التَّيْمِيَّ، يَقُولُ: لَوْ سُئِلْتُ: أَيْنَ اللَّهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ؟ قُلْتُ: فِي السَّمَاءِ، فَإِنْ قَالَ: فَأَيْنَ عَرْشُهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاءَ؟ قُلْتُ: عَلَى الْمَاءِ، فَإِنْ قَالَ لِي: أَيْنَ كَانَ عَرْشُهُ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْمَاءَ؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي..

وهذا ظاهره –والله أعلم – أن العرش سابق لخلق الماء.

وقد ذهب الطبري في تاريخه لتقديم خلق الماء والريح قبل العرش فقال....وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ خلق الماء قبل العرش، لصحة الخبر الذي ذكرت قبل عن أبي رزين العقيلي عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أنه قال حين سئل:..

أين كان ربنا عَزَّوَجَلَّ قبل أن يخلق خلقه؟ قال: كان في عماء، ما تحته هواء، وما فوقه هواء، ثم خلق عرشه على الماء، فاخبر صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ أن الله خلق عرشه على الماء ومحال إذ كان خلقه على الماء أن يكون خلقه عليه، والذي خلقه عليه غير موجود، إما قبله أو معه، فإذا كان ذلك كذلك، فالعرش لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون خلق بعد خلق الله الماء، وإما أن يكون خلق هو والماء معا فأما أن يكون خلقه قبل خلق الماء، فذلك غير جائز صحته على ما روى عن ابى رزين، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ...

وقد قيل: إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه، فإن كان ذلك كذلك، **فقد كان الماء والريح خلقا قبل العرش**...

## ذكر من قال: كان الماء على متن الريح:

١- حَدَّثَنِي ابْنُ وَكِيعٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبِي، عَنْ سُفْيَانَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنِ المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، قَالَ: سُئِلَ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ قَوْلِهِ عَزَّوَجَلَّ: { وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ} [سُورَةُ هُودٍ: ٧] عَلَى أَيِّ شَيْءٍ كَانَ الْمَاءُ؟ قَالَ: عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ...انتهى..

# وخلق الخلق من الماء

١- قال أحمد في مسـنده حَدَّثَنَا يَزِيدُ، أَخْبَرَنَا هَمَّامٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَبِي مَيْمُونَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي وَقَرَّتْ عَيْنِي، فَأَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ. فَقَالَ: "كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ "..

٢- قال ابن أبي حاتم في تفسيره حَدَّثَنَا أَبِي، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفٍ الْعَسْقُلانِيُّ، حَدَّثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الأَعْمَشِ عَنِ الْمِنْهَالِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ أَبِي أَرَاكَةَ قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو قَالَ: مِمَّ خُلِقَ الْخَلْقُ؟ قَالَ: مِنَ النُّورِ وَالنَّارِ وَالظُّلْمَةِ وَالثَّرَى. قَالَ: وَائْتِ ابْنَ عَبَّاسٍ فَاسْأَلْهُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَسَلْهُ: مِمَّ خُلِقَ ذَلِكَ كُلُّهُ؟ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَسَأَلَهُ فَتَلا: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [سُورَةُ الجَاثِيَةِ :١٣]...

**فائدة:** اعلم أن اثبات مخلوقات بعينها قبل خلق السماوات والأرض متوقف على الخبر والعلم من الكتاب والسنة والاجماع والاثار..

مع علمنا أن الله تعالى لم يزل خالقا قادرا فاعلا لما يشاء لكن ثبوت شيء بعينه من موجب تلك الصفات لا بد فيه من النص حينئذ وجب السكوت عما سكت عنه السلف لأن كلامهم راجع لإثبات أزلية الصفات لله تعالى **فحسب ولم يخوضوا في قدم جنس أو نوع المخلوقات** مع اثباتهم أن الله تعالى لم يزل خالقا وفاعلا لما يشاء بقدرته واختياره والله أعلم..

- قال البخاري وَرَوَى عِيسَى، عَنْ رَقَبَةَ، عَنْ قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَامَ فِينَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَامًا، **فَأَخْبَرَنَا عَنْ بَدْءِ الخَلْقِ**، حَتَّى دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ مَنَازِلَهُمْ، وَأَهْلُ النَّارِ مَنَازِلَهُمْ، حَفِظَ ذَلِكَ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ..

هذا المبحث وهو ثبوت وجود مخلوقات قبل خلق السماوات والأرض برهان على أن الله لم يزل فاعلا إذا شاء ردا على من عطل أفعاله..

**فأهل الحديث وسط بين قول الفلاسفة القائلين بقدم العالم وهذا كفر وشرك وبين المعطلة الذين قالوا لم يزل معطلا أن يفعل أو يتكلم بمشيئته وقدرته وقولهم كفر وشرك أيضا..**

**ولكن الحق الذي عليه أهل الإسلام والسنة هو أن الله تعالى لم يزل فاعلا متى شاء وهذا وصف له بدوام الفعل**

**والعالم مخلوق مكون بعد أن لم يكن فليس مع الله شيء من مفعولاته قديم معه بل هو خالق كل شيء وما سواه مخلوق..**

- وفي خلق أفعال العباد للبخاري (ص٨٥): قال وَلَقَدْ بَيَّنَ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ أَنَّ كَلَامَ الرَّبِّ لَيْسَ بِخَلْقٍ، وَأَنَّ الْعَرَبَ لَا تَعْرِفُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ إِلَّا بِالْفِعْلِ، فَمَنْ كَانَ لَهُ فِعْلٌ فَهُوَ حَيٌّ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ فِعْلٌ فَهُوَ مَيِّتٌ...انتهى..

فالمقصود أن يعلم أن هناك **فاعلا** وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى

**وفعل** الذي هو صفة قائمة بالله تعالى بمشيئته وقدرته

وهذا خلافا لقول الفلاسفة أنه يفعل فعلا دائم بلا توقف أبدا وخلافا لقول المعطلة أنه لا يفعل مطلقا بإرادته بل هو ممتنع عليه..

- قال الله تعالى {وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾} [سُورَةُ إِبۡرَاهِيمَ :٢٧].

- وقال سبحانه {إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾} [سُورَةُ هُودٍ :١٠٧].

وهناك **مفعول** مخلوق كائن بعد أن لم يكن

والحمد لله رب العالمين